

The philosophy of violence and terrorism between totalitarianism and globalization From Hannah Arendt to Jean Baudrillard

Dr. Alaa Kadhim Masood

philosophy department ,College of Arts- Wasit University Iraq

E-Mail:Alaakahdem33@gmail.com

Abstract:

Violence and terrorism affected international and political relations between countries, and this is what Arendt looked at in analyzing the effects of the first and second world wars with hundreds of thousands of dead and wounded after politics ended with the use of violence, as its philosophy is based on the dismantling of violence practiced by totalitarian regimes, showing the boundary Between power, power and violence, despite the great overlap between these terms, terrorism has become a reaction to acts of violence through which the totalitarian regime tried to dominate individuals, as it criticizes the Nazis and what Hitler did against the Jews, especially what is known as the Holocaust that was suspected A turnaround in political life in the twentieth century, but the problem of violence has evolved due to the progress of science to be more tricky in the twenty-first century than the presence of bloody events in the world that are confronted in the same way and even more severe. Arendt and Baudrillard to dismantle the categories of violence and terrorism.

Keywords; Violence. Terrorism, globalization, totalitarianism, and Nazism.

فلسفة العنف والإرهاب بين الشمولية والعولمة من حنة أرنت الى

جان بودريار

م. د. علاء كاظم مسعود

جامعة واسط/ كلية الآداب /قسم الفلسفة

الملخص.

إنَّ العنف والإرهاب على العلاقات الدولية والسياسية بين البلدان, وهذا ما نظرت اليه أرنت في تحليل الاثار التي خلفتها الحربان العالميتان الاولى والثانية مع مئات الالاف من القتلى والجرحى بعدما انتهت السياسة باستعمال العنف, إذ تركز فلسفتها على تفكيك العنف الذي تمارسه الانظمة الشمولية, مبينة الحد الفاصل بين السلطة والقوة والعنف, على الرغم من التداخل الكبير بين هذه المصطلحات, فالإرهاب اصبح ردة فعل لأعمال العنف التي حاول النظام الشمولي من خلالها أن يهيمن على الافراد, إذ تنقد بذلك

النازية وما عمله هتلر ضد اليهود, لاسيما ما يعرف محرقة الهولوكوست التي شكلت انعطافه في الحياة السياسية في القرن العشرين, إلا أن إشكالية العنف تطورت بسبب تقدم العلم ليكون أكثر وطئه في القرن الواحد والعشرون من وجود أحداث دامية على مستوى العالم تجابه بذات الطريقة بل أشد, فمواجهة العنف بالعنف لا يولد الا عنفاً وهذا ما يمكن تمييزه والبحث فيه عند أرنت و بودريار في تفكيك مقولات العنف والارهاب.

كلمات مفتاحية:العنف. الارهاب , العولمة, التوتاليتارية, النازية.

المقدمة

الزيف التي تمارسها السلطات الشمولية. لذلك توجهت الفلسفة السياسية لفهم ممارسة العنف والارهاب سيما الحروب العالمية التي افتتح بها القرن العشرون وتمت مواصلتها بافتتاح احداث الارهاب مطلع القرن الواحد والعشرين, إذ غطت احداث الحرب والعنف طوال قرنين من الزمن وكأن تاريخ البشرية تاريخ الحروب, لذلك اهتمت أرنت في تفكيك مفاهيم (العنف, الشمولية, الارهاب, الثورة), بكون هذه الصفات السمة الاساسية والايقونة التي تميز انشغالات الفلسفة السياسية الغربية المعاصرة, ليس عند أرنت فحسب بل نجد فلاسفة اخرين اهتموا بحل ازمة العنف والارهاب, كما يذهب الى ذلك جان بودريار الى فهم آلية العنف والحد منه لكن بصورته الافتراضية التي تحل محل الواقع. فالدراسة هذه تهتم بالدرجة الاساس بمفهوم العنف والارهاب عند أرنت وتطورهما عند بودريار في اعطاء صورة متخيلة تحل محل الواقع .

أن عصرنا لحد الان لم تختلف فيه لغة العنف, ولكن تطورت بصورة كبيرة على الرغم من اشارة أرنت الى هذه المقولة في تطور الارهاب, الا إن وفاتها عام ١٩٧٥ لم يجعلها تشهد الاحداث الأكثر عنفاً, لذلك رأيت من باب البحث العلمي أن أوثق هذه التطورات مع فلاسفة شهدوا الاحداث الارهابية مطلع القرن الواحد والعشرين مثل بودريار في كتابيه عنف العالم بالاشتراك مع ادغار موران وروح الارهاب, لكن مع ذلك تبقى طبيعة البحث فحسب فاقدة حلقة كبيرة فيما يخص تطور الارهاب وما يمكن إن يشكله من التعقيد والغموض بظل الانتقال من الشمولية الى العولمة من جانب وبسبب العولمة التي اسهمت كثيرا في تطور هذه الاحداث.

لعل كثيراً من الدراسات كتبت عن العنف والارهاب ومحاولات الحد منه في الوصول الى حالة الامن والسلام الاهلي, الا إن المشكلة في استعمال القوة في ازدياد ولا يوجد

لم يعد الارهاب محلياً منحسراً في حدود الدولة بل انتقل الى جميع انحاء العالم, وأن انتقاله يخضع لعوامل ليست سياسية فحسب, وإنما تدخل العوامل الاقتصادية والدينية. يتجسد العامل السياسي في سيطرة الدول الغنية والعظمى على الدول الفقيرة, بعدما انتقلت هذه الدول من الحكم الشمولي والهيمنة على الافراد الى السيطرة على العالم, فالإرهاب ظهر نتيجة للتدهور الذي اصاب الانسان جراء قمع حرياته وحرمانه من أيسر حقوق العيش الضرورية, وبما يمارسه الحكم التوتاليتاري (الشمولي) الذي حوّل السلام والطمأنينة الى قلق يلزم الأتسان في كل زمان, في حرب الكل ضد الكل لم ينجح وبسيطر إلا السلطة القمعية التي تمارس العنف من اجل العنف والسيطرة, مما ولد عنفاً أو ارهاباً, فالإرهاب لا يتعلق بالجانب السياسي بوصفه رداً على كل الانظمة المستبدة, وإنما يتداخل مع الجانب الديني من أجل الشهادة, فالعامل الديني يغذي الارهاب بالنصوص مما يرسخ عقيدة العنف ونبذ المختلف. والعلم يزود الارهاب بألية الانتشار والتوسع في تنفيذ هجمات عالية الدقة, فالإرهاب تطور بوسائل العلم وتقنياته فلا يمكن الحد منه فضلاً عن توقعه, أو التنبؤ به. فالإرهابيون مجهولو المكان, قد تحدث الحرب بين دولتين محددين الا إن الارهاب يقصف الدول من دون تحديد للجهة القامعة أو التي صدرت الارهاب حتى وإن جرى تحديد الجهة الا انها تبقى فاقدة الاطار الذي يجعلها كيانا معروفاً.

كثيرة هي التساؤلات حول ممارسة العنف والارهاب, ومنها كيف يمكن أن يحيا الانسان في ظل مخاطر الارهاب العالمية ؟ كيف يمكن أن يعيش الانسان في ظل تدمير الثوابت وبطلانها, إذ إن المسلمات القديمة قد دمرت أو ثبت كذبها, إذ تذهب أرنت الى بدء حياة جديدة مع ما يمكن يعيشه المرء في ظل الحربية, وهي تتجلى في معرفة الحقيقة وبيان ايدلوجيا

طويلا بسبب احتلالها من قبل المانيا, بعدها انتقلت الى امريكا, لتكتب عن سيرتها التي اصبحت فيما بعد فلسفتها السياسية, " اضطرت حنه أرنت إلى المنفى بعد وصول هتلر الى الحكم, عاشت مدة ثماني عشرة سنة تجربة الشخص الذي لا وطن له ولا جنسية-apatride. التقت في باريس ريمون آرون وجون بول سارتر وألبير كامو... انتقلت سنة (١٩٤١م) إلى منفى اخر هو الولايات المتحدة الامريكية التي تحصّلت فيها على المواطنة بعد عشر سنوات من ذلك, أي سنة صدور كتاب: جنود الشمولية"(دوريتي, ٢٠٠٨, ص٢٣٩-٢٤٠).

كانت أرنت مهمة بتحليل طبيعية السياسة والمجتمع في العالم المعاصر, لاسيما الاحداث الكثيرة التي تميز هذا العصر, فقد وصف لينين القرن العشرين في عصر الحروب والثورات ولم تتغير بعد بداية القرن الواحد والعشرين, بل بدأ كذلك بأحداث دموية أبرزها احداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م, فما يمكن الحديث عنه هو تحليلها لأحداث محرقة الهولوكوست ومعسكرات الموت الستالينية, وبما إنها كانت يهودية تعرضت لكل احداث العنف والقمع التي مورست ضد اليهود.

٢- العلاقة بين العنف والسلطة (التعريف- الماهية).

قبل الحديث في جدل العلاقة بين المصطلحين (العنف- السلطة) لابد من أن نبين أهم التعريفات التي تحدد مصطلح العنف, فالأغلب منها يتفق في استعمال القوة كما يذهب الى ذلك جميل صليبا في معجمه الفلسفي على أنه: "استخدام القوة استخداماً غير مشروع, أو غير مطابق للقانون"(صليبا, ١٩٨٢, ص١١٣), ولكن هل ثمة استعمال للقوة مطابق للقانون أو بصورة شرعية؟ هنا يجب التمييز بين ما تمارسه السلطة سواء أكان قوة ام عنفاً, "إذا كان العنف فعلاً غير قانوني فهذا يعني أن الافعال الصادرة عن السلطة السياسية القائمة وعن اجهزتها, والتي تتصف بطابع القوة والشدة كالقمع والاضطهاد والاعتقالات الكيفية- هي أفعال غير عنيفة لأنها قانونية بمعنى انها مؤيدة مسوغة بالقوانين التي تضعها تلك السلطة وتسهر على تطبيقها"(زيادة, ١٩٨٦, ص٦٥٢), إلا هذه الرؤية محل جدل, فاكثر السلطات

اكثر اكل ما يكتب أو يمكن الكتابة فيه, فكانت محاولة الحد منه اصبحت حاجة ملحة في اضعاف العنف وتفعيل دور الدبلوماسية والطرق الاكثر حفاظاً لأرواح الافراد في تحقيق غاياتهم ومطالباتهم بالحقوق بالطرق السلمية.

فالحاجة الى البحث في العنف على الرغم من الدراسات المختلفة فيه, فهو باقٍ بتجدد وسائل السلطة للمحافظة على وجودها. على الرغم من الدعوات للحكم الديمقراطي, نجد هنالك انظمة شمولية بشكل الديمقراطية وفي مضمونها تعمل وفق العنف والقمع, لاسيما انظمة الدول النامية وما تسمى بالعالم الثالث التي لم تع الديمقراطية الا سلعة مستوردة لا تعرف الاخر ولا تعترف به. لذلك فإن اختيار أرنت من كل الفلاسفة والمنظرين السياسيين لمعاناتها من عنف الانظمة الشمولية وصولاً الى بودريار الذي يقرن انتشار الارهاب مع العولمة.

أولاً: فلسفة العنف والارهاب عند حنه أرنت.

١- حنه أرنت- حياتها - فلسفتها السياسية.

معرفة حياة أرنت مهمة لمعرفة فلسفتها, بل تكاد تكون حياتها وما مر عليها من ظروف قاسية شكلت رؤياها السياسية والفلسفية, كانت ترفض صفة فيلسوفة وتكتفي بانها منظرية سياسية, فأرنت دقيقة باختيار افكارها كما هي دقيقة في اختيار الاوصاف التي تتصف بها, فالعديد من المفاهيم تنظر لها نظرة خاصة, وإن كانت متداولة مثل ما نلاحظ من العنف والثورة وابرزها التوتاليتارية .

ولدت حنه أرنت عام ١٩٠٦م في هانوفر. وعندما بلغت سن الثالثة عاد أبوها إلى بلدة كونيغزبرغ الهادئة على بحر البلطيق, حيث عاشت طفولتها هناك, وعندما بلغت السابعة توفي أبوها في مرض الزهري الذي كان قد أصيب به قبل زواجه على ما يبدو, وفي السنة نفسها ١٩١٣م توفي جدها لأبيها, الذي كان بمقام الأب الثاني لها. ومن خلال أمها أصبحت على اطلاع بالتطورات السياسية في ذلك الوقت (ليشته, ٢٠٠٨, ص٣٦٨).

عانت أرنت كثيراً من الانظمة الشمولية بدءاً من الحزب النازي الذي على أثر حكمه هاجرت الى فرنسا, لم تبقى فيها

تتميز وتختلف بعضها عن بعضها الآخر، ومن الصعب عليها أن توجد إن لم يكن هذا التمايز قائماً" (أرنت، ١٩٩٢، ص ٣٨). فهذه المصطلحات كلها تشير الى الوسائل التي يحكم بها الانسان الأنسان، لقد غدَّت مرادفات. لان لها تؤدي وظيفة نفسها وهذا ردُّ على التساؤل (من يحكم من) اذ إن في خلفية هذا الخط الظاهر، هناك القناعة الصارمة بأن المتميزات ستكون في أحسن الاحوال ذات قيمة صغرى للتساؤل الاكبر الذي يكون في آلية الحكم. الشعب مصدر السلطة وهو له الارادة في تغيير مجريات الاحداث وتغيير الحكام وتثبيتهم، فالإرادة والقوة للحاكم وله الحق في قمع معارضيه. وهذا ما يحدد نوع العنف والعنف المضاد. كما في انواع العنف المختلفة، كما مر سابقاً في تبرير استعمال القوة.

إن الشكل الأكثر تطرفاً للسلطة هو ذلك الذي يعبر عنه شعار (الجميع ضد الواحد)، أما الشكل الأكثر تطرفاً للعنف فهو الذي يعبر عنه شعار (الواحد ضد الجميع)، وهذا لا يكون ممكناً دون اللجوء الى ادوات القمع، (أرنت، ١٩٩٢، ص ٣٧) على الرغم من الاختلاف بين العنف والسلطة الا انهما يظهران معاً، السلطة الشرعية لا تحتاج الى العنف لأنها تستمد مشروعيتها من الجماعة، لكن العنف دائماً يحتاج لأدوات غير سياسية مثل القمع والتحايل والتطويع الاجتماعي من اجل التغيير الايديولوجي أو القهر، وأن تحوّلت السلطة الى سلطة الفرد ضد الجماعة، فقدت شرعيتها وتحولت الى العنف، على الرغم من إقرار آرنت بان السلطة الحاكمة- سواء أكانت ديمقراطية أم شمولية- تستعمل العنف سواء أكان الناعم أم المباشر، حيث الاولى توظف سلطة الاكراه والاضعاع باسم المصلحة العامة بينما السلطة الشمولية تستعمل العنف باسم الله أو الحاكم، كما سنأتي في بيان الفرق بين انواع انظمة الحكم في ممارسة العنف.

تُميز آرنت في كتابها عن العنف بين ثلاثة انواع وهي كالآتي (أرنت، ١٩٩٢، ص ٣٨):-

العنف القديم وعنف المجتمعات الحديثة الذي لا يهدف إلى النصر المطلق لكن لإخضاع الخصم عن طريق وسائل القهر المختلفة، وتفرق بين ثلاثة اصناف للعنف تستعملها السلطة هي: العنف العسكري، القمع، والعنف الناتج عن التقدم

تمارس القوة للبقاء في الحكم، على الرغم من نهاية السياسة والسلطة في ممارسة العنف.

توظف آرنت مقولة ماكس فيبر وماركس في علاقة السلطة بالعنف، فمع ماركس- الدولة تشكل أداة قمع تمتلكها الطبقة المسيطرة. ومع ماكس فيبر في عدّ الدولة: سلطة للناس على الناس قائمة على أساس أدوات العنف المشروع (أي العنف منظوراً إليه على انه مشروع). (أرنت، ١٩٩٢، ص ٣١) الا إن ذلك يمنح الدولة شرعية في ممارسة العنف، وهذا ما ترفضه بكونه بداية الانظمة الشمولية، "إن السلطة والعنف متضادان، ما أن تلاشت السلطة وافتقدت الشرعية تتحول دولة القانون الى دولة العنف والارهاب أي الدولة الشمولية" (أرنت، ١٩٩٢، ص ٣١). التي تنشط بالإرهاب بوصفه ممارسة ونشاطاً سياسياً كما سنلاحظ في جدل الارهاب والشمولية.

اوضحت آرنت الفرق بين العنف والسلطة. اذ ترى: "إن السلطة والعنف يتعارضان: فحين يحكم أحدهما حكماً مطلقاً يكون الآخر غائباً. ويظهر العنف لما تكون السلطة مهددة. لكنه إن ترك على سجيته سينتهي الأمر باختفاء السلطة" (أرنت، ١٩٩٢، ص ٥١) إن العنف لا يمثل إلا مسلكاً من المسالك التي تلجأ إليها السلطة، وهي تحاول صنع المسوغات له. ان الأفعال السياسية الحق لا تحتاج إلى تبرير، أما العنف فيوجب في أغلب الأحيان التبرير. تقول آرنت : "لا يمكن للعنف أن ينحدر من نقيضه الذي هو السلطة، وأنه يتعين علينا، لكي نفهم العنف على حقيقته أن نتحص جذوره وطبيعته" (أرنت، ١٩٩٢، ص ٥١). وهذا ما يكوّن المقارنة بين السلطة والعنف.

قد يكون التمايز واضحاً بين العنف والسلطة في استعمال القوة، لكن من الصعب الفصل بينها، لان كل هذه النشاطات والافعال تدخل في دائرة العنف، فما نسميه ثورة هو استعمال للقوة، ودفاع الحكومة أو السلطة هو عنفاً و قمعاً، لكن الاختلاف في المسوغ لاستعمال هذه القوة، وهذا ما تنتقده آرنت في الفصل بين هذه المصطلحات، إن من " المحزن في العلوم السياسية عدم التمييز بين كلمات أساسية مثل (سلطة- قدرة- قوة- سيطرة- عنف) فهي جميعاً تحيلنا الى ظواهر

الاسواق والمدارس, لا تميز بذلك بين الرجل الكبير والطفل, **فالإرهاب:** "عنفٌ غير مباشر, يستهدف الابرياء- غير المحاربين والنساء والاطفال وكبار السن وغير المسلحين والمستضعفين- بنية ارهاب الاخرين"(تاوونزند, ٢٠١٤, ص٤٦), وهذا ما يحدد نوع العنف اذا كان مشروعاً أم لا, كما في انواع العنف المختلفة.

الارهاب ليس هو العنف, إنه بالأحرى شكل الحكومة التي تحل في السلطة حين يكون العنف, بعد أن دمر كل سلطة, إن فعالية الارهاب ترتبط ارتباطاً كلياً تقريباً بالتفتت الاجتماعي. وغالباً ما يظهر هذا التفتت بعد انتصار العنف على السلطة, حيث يكون الارهاب واضحاً من اجل الحفاظ على الهيمنة(آرنت, ١٩٩٢, ص٥٠).

قد نجد الاختلاف بين العنف والارهاب على مستوى الانظمة السياسية كما تبين آرنت هذا التمايز بين النظام التوتالييتاري الذي يمثل الارهاب ويكون اكثر شدة من النظام الاستبدادي الذي من طبيعته العنف, "إن الفارق الحاسم بين الهيمنة التوتالييتارية, القائمة على الإرهاب, والطغيان والدكتاتورية, القائمين على العنف, يكمن في أن الاولى لا تقف بالصد من اعدائها فحسب, بل كذلك ضد اصدقائها أنفسهم والحال أن ذروة الارهاب تكون حين تبدأ الدولة البوليسية بالتهام أبنائها, فيصبح جلد الامس ضحية اليوم. وتكون تلك هي أيضاً اللحظة التي تختفي فيها السلطة كلياً"(آرنت, ١٩٩٢, ص٥٠). فانتهاه السلطة او اختفاءها يبدأ من استعمال السلطة للعنف والارهاب .

يتميز الحكم الشمولي عن النظام الاستبدادي بأكثر من ميزة في إن " النظام التوتالييتاري في مرحله الاولى يرى من الواجب أن يتصرف شأن حكم استبدادي فيقضي على كل محرمات القانون الذي وضعه الانسان, لان الارهاب الكلي لا يخلف وراءه حكماً فوضوياً اعتباطياً, فهو لا يطلق العنان له لصالح ارادة اعتباطية, أو لصالح سلطة طاغية على راسها رجل ضد الجميع. انما يحل الارهاب رباطاً من حديد بديلاً من المحرمات ومن وسائل التواصل بين البشر"(آرنت, ١٩٩٣, ص٢٥٣). كما سيأتي في آلية الارهاب في عزل الافراد بعضهم عن بعض, ومع ذلك يبقى العنف والارهاب

التكنولوجي الذي يقضي على حرية الانسان التي اساسها حرية الفكر, فضلاً عن استعمال النظام السياسي لهذا التقدم للتسلح العسكري.

٣- متى يصبح العنف ارهاباً؟

هل يختلف العنف عن الارهاب من حيث المعنى. اذ تذهب بعض التعريفات على أنه استعمال القوة كذلك, وبذلك لا يختلف من العنف في هذا المعنى, الا إن الاختلاف فيما يرافق فعل الارهاب من الخوف والرعب وبثه في قلوب الناس, ويقترب هذا المعنى من المدلول اللغوي. يشق الارهاب من الفعل الثلاثي (رَهَبَ) أي خاف. والرهبه هي الخوف والفرع, وأرهبه ورهبه أي أخافه وفرّعه. والراهبه هي الحالة التي ترهب أي تفرع وتخوف, الا انها لا تدل الا على حالة نفسية تعانيها, أو تعبر عنها ذات معينة, وبالتالي هي لا تحمل أي معنى سياسي يقوم على العلاقة القائمة بين نتائج الخوف وبين استغلاله بشكل هادف وواع من قبل فاعل الفعل, فكلمة ارهاب تسمح باستخراج علاقة بين نية الذات الفاعلة ونتائج الرهبه على الموضوع الذي يتحملها, الا إن هذا المعنى اختلف بعد الثورة الفرنسية ١٧٨٩م حيث اكتسبت هذا البعد السياسي/ الاجتماعي المعروف اليوم, القائم على طبيعة البواعث والاهداف التي من جرائها يحصل فعل الارهاب(زيادة, ١٩٨٦, ص٥١).

اما على مستوى المعنى الاصطلاحي فلا يختلف عن المعنى اللغوي من بث الخوف والرعب وقبل أن تميز وجه الاختلاف بين معنى العنف والارهاب, لا بد من أن نحدد تعريف الارهاب: "باعتباره الاستخدام المتعمد للعنف أو التهديد المتعمد بالعنف لبث مشاعر الخوف؛ بهدف إجبار أو ترويع الحكومات أو المجتمعات. وبصورة اخرى يعد الإرهاب الاستخدام أو التهديد باستخدام العنف المفرط ضد أي شخص أو ضد الممتلكات، بهدف الدفع قدماً بتوجه سياسي أو ديني أو أيديولوجي" (تاوونزند, ٢٠١٤, ص٩).

يكمن الاختلاف في إن العنف يستعمل لأهداف عسكرية محددة يمكن إن لا يخرج عن القوانين الدولية للحرب الا إن الارهاب لا يراعي فيه حدود القانون, ويبدو ذلك واضحاً من ملاحظة الاهداف الارهابية التي تصيب الاماكن العامة من

الوجه البارز للأنظمة الشمولية التي وصفت بها أرنت النازية.

٤- الارهاب: جوهر النظام الشمولي.

في تحليل العنف والارهاب يتميز النظام الشمولي في كل افعال الوحشية التي مورست ضد الانسانية، اذ تجسد في الستالينية والنازية التي تشكل عامل رئيس في انتاج العنف والارهاب وتصديرهما، بل ابتدعت في هذا الانتاج، على الرغم من التفاوت الموجود فيهما، الا ان الغاية أو الهدف النهائي تكمن في ممارسة الارهاب بوصفه نشاطاً سياسياً هيمن على توجهات جميع المجالات. اذ حلت أرنت في كتابها اصول التوتاليتارية الصادر في عام ١٩٥١م هذين النظامين، وجدلت بأن: "الدول الشيوعية والنازية كانت اشكلاً جديدة من الحكومة، وليس مجرد نسخ مجددة لأنظمة قديمة من الطغيان" (أرنت، ١٩٩٣، ص ٢٤٦). تشتبك الشمولية مع نزعة العداة للسامية والامبريالية في عدم القدرة على ردها الى شرور قديمة، اذ توضح أرنت في أن "الأصالة المرعبة للشمولية لا تنشأ عن فكرة جديدة أنتت الى العالم، وإنما الى اعمال منقطعة عن كل تقاليدنا، سحقت تماماً مقولاتنا السياسية... فالشمولية ليست إنجازاً لفكرة محقة عن التاريخ، وإنما هي انبثاق لظاهرة جديدة جذرياً" (فرانسوا شاتليه، ٢٠١٤، ص ٥٤). وهي تراجع الظواهر القديمة والية العمل على تحليلها دون الرجوع للحكم المسبق في تفسيرها، ولكن تستعين بصورة أو اخرى بضرورة التاريخ على اختلاف مراحل تطوره.

يمارس الارهاب نشاطه في ظل قانون التاريخ والطبيعة، فهو يعمل على تحقيق قانون الحركة، "اذا يقضي هدفه الرئيسي في جعل قوة الطبيعة أو التاريخ تنتصر على الجنس البشري برمته، في احتدامها الشامل، دون أن يقدر أي شكل من اشكال الفعل البشري العفوي على الوقوف في وجهها" (أرنت، ١٩٩٣، ص ٢٥١). وتعد بذلك أرنت اول من طبق تعبير المذهب الكلي على النازية والستالينية. ورأت "أن الجديد في الاتحاد السوفياتي الستاليني وألمانيا هتلرية كان محاولة انتاج انسان جديد ونظام سياسي جديد بشكل كامل. وبخلاف الدكتاتوريات السابقة كان ذلكما النظامين مشادين على

ايدلوجيا كلية وتعبئة جماهيرية واسعة، ومناورات منظمة، وتعليم عقيدي منظم" (سكيريك، ٢٠١٢، ص ٩٤٣). وهذا ما يمهّد لأفكار وأيدلوجيات مسبقة فما يبثه العنف لا يكون عفويًا بل يخضع لايدلوجيا محددة مسبقاً، "فان الرعب لا يكون اعتباطياً لأنه يجري باسم الايدلوجيا التي تقدم للنظام الشرعية العليا التي يستند إليها. إن الايدلوجيا، بوصفها مبدأ لتقويم وتنظيم الحقيقة المتميزة بادراك مانوي، وكفكرة بعبارات الفية، وخطاب يدعي العلمية، ترضي رغبة التماسك وقابلية التوقع المغروسة في العقلية الشمولية" (فرانسوا، ٢٠١٤، ص ٥٨).

فالنظام الشمولي يرتكب الارهاب ضد (سكان مقهورين تماماً) ولكنه أكثر من أي شيء اخر يقتل الشخص المعنوي الاخلاقي النفسي، بحيث يصبح الموت مجهول الهوية، فالدولة الشمولية تشبه (مجتمعاً سرياً في وضح النهار)، (ليشته، ٢٠٠٨، ص ٣٧١) ما تتشابه به الدولة الشمولية والارهاب هو اخفاء الهوية الفاعلة وهذه سمة مشتركة للعمل السري بوساطة اجندات بوليسية غابيتها اثاره الرعب والخوف عند الافراد. والتركيز على مؤسسات محددة بمقدمتها الحزب والادارة البيروقراطية، والشرطة التي يوليها اهمية كبيرة على حساب الجيش الذي يبقي العنصر الاكثر تمثيلاً للنظام والحفاظ عليه لاسيما السلطة الشمولية بعد اقضاء المعارضين الحقيقيين، بعد العمل على المتغيرات التي تأتي بها الايدلوجيا ومن هنا ينبع الرعب الذي يعد جوهر النظام الشمولي، وينبع منه ايضاً نظام المعتقلات الذي ترى فيه أرنت المؤسسة المركزية للسلطة والحد المنظم للظاهرة، وبذلك تحقق الايدلوجيا مشروعها الخاص باستئصال التنوع البشري. (فرانسوا، ٢٠١٤، ص ٥٨).

إن الارهاب في الانظمة التوتاليتارية يكف على أن يكون وسيلة للقضاء على المعارضة. الى كون ذلك وارداً في استعماله، على أن الارهاب يصير كلياً اذ يغدو مستقلاً عن كل معارضة، وحكمه يؤول الى إطلاقته حين لا يعود احد معترضاً سبيله، واذا كانت الشرعية جوهر النظام غير الاستبدادي وغياب القوانين وجوهر الاستبداد، فإن الارهاب أخرى ما يكون جوهر السيطرة" (أرنت، ١٩٩٣، ص ٢٥١).

ويحول الافراد الى العيش في عزلة من دون ممارسة سياسية
تحدد معالم المدنية بعد العمل على الغائها.

يمكن القول أن العلاقة بين الانظمة الشمولية والتمدن قد تكون
محدودة أو مقطوعة, بسبب السياسة التي تطبقها تلك الانظمة,
"أن الصلة ما بين الدول التوتاليتارية والعالم المتمدن قد
انقطعت بفعل الجرائم الفظيعة التي ارتكبتها الانظمة
التوتاليتارية, فان المغالاة في الجرائم هذه لا يمكن أن تعزى
الى محض العدوانية, والوحشية والحرب, والغدر, بل إلى
انقطاع واعٍ وفي توافق تشريعي" (أرنت, ١٩٩٣, ص ٢٥٤)
الذي هو بدوره ينشئ العالم المتمدن.

٦- نمو الارهاب في العزلة وسلب الحريات.

طالما يبحث الارهاب عن مجال للانطلاق بين الافراد, لذلك
وفرت السلطة الشمولية جزء كبير من الادوات والظروف في
ذلك, منها زعزعة الثقة بين الافراد التي ادت بدورها فقدان
الامان والحريات, فالعزلة بين الافراد تعمل على تنمية
الارهاب, "أن الإرهاب لا يمكن أن يسود الناس مطلقاً, إلا في
حال كونهم معزولين بعضهم البعض, وبالتالي أولى
اهتمامات كل الانظمة الاستبدادية حدوث هذه العزلة, لذا
يمكن أن تكون العزلة بدء الارهاب, فهي الارض الخصبة
التي ينمو فيها الارهاب, ويكون ثمرتها على الدوام, وبهذا
تكون العزلة سابقة لإحلال التوتاليتارية" (أرنت, ١٩٩٣,
ص ٢٩٦). ليس العزلة فحسب بل تحدد أرنت عاملاً اخر هو
العجز, أن العجز عن الممارسة السياسية تسبب عزلاً كذلك,
يمكن لكل فرد أن يمارس مهنته من دون الخروج عن عالمه
الخاص ومن دون الاتصال بالآخرين, فالعزلة والعجز, أي
عدم القدرة الاساسية والمطلقة على الفعل.

في العزلة ينتفي العمل السياسي تماماً وقد ينتفي وجود
الانسان ايضاً بسبب تلاشي قيمته, فقيمة الانسان تساوي ما
يمارس من أنشطة التي تكاد تكون صفراً, ففي العزلة, "يظل
المرء على صلة بالعالم من حيث كونه عملاً بشرياً, ولا
تصير العزلة عصية على الاحتمال تماماً, إلا حين يصير
شكل الخلق البشري الاكثر أولية- وأعني به قدرة المرء على
أن يضيف شيئاً من ذاته الى العالم المشترك
معدوماً" (أرنت, ١٩٩٣, ص ٢٧٠). بذلك كان جزء من فلسفة

وبذلك يكون الارهاب والقمع ابرز ما يمكن أن يقوم به النظام
الشمولي وهو بذلك جزء من طبيعة بقائه.

الارهاب بين المدنية والعزلة

٥- قطيعة الارهاب مع المدنية, (الارهاب: ممارسة سياسية).

هل يرتبط الارهاب بتكون المجتمع المدني المعاصر, أم
المجتمعات المتمدنة بوصفه احد اوراق اللعب السياسية, كيف
تتنظر اليه أرنت بالمقارنة مع ممارسة النشاط السياسي, أئعد
الارهاب ورقة ضغط لتحقيق مكاسب سياسية أم وسيلة
للوصول الى الحكم؟

ما يميز الانظمة الشمولية هو تعبيرها عن نشاطها السياسي
بالإرهاب بوصفه وسيلة لتصفية الخصوم لتثبيت الحكم فضلاً
عن الاحتفاظ بالملك, ونميز بذلك بين ارهاب الثورة أو ما
تمارسه الدولة من اعمال عنف, فالإرهاب يعد النشاط الذي
يميز الحركات التوتاليتارية, والذي تؤثره على أنواع
النشاطات السياسية الاخرى, "تعتبر الافعال الارهابية الوسيلة
الوحيدة لإلغاء بعض الشخصيات من ذوي الاهمية السياسية
الاولى, والذين باتوا, بسبب من سياستهم أو موقعهم, رمزاً
للقمع" (أرنت, ١٩٩٣, ص ٦٦).

قد ساعدت المجتمعات المدنية بفضل العولمة على انتشار
الارهاب, ليس عند أرنت فحسب بل يوظف بودريار هذه
المقولة في أن الارهاب صنيعة العولمة كما سنلاحظ في
فلسفته, "ليس الارهاب السياسي ظاهرة عرضية أو وليد
الصدفة, وليس حادثاً غريباً ودخيلاً على المجتمعات المدنية
المعاصرة- بالرغم من كونه مزعجاً وغير مرغوب فيه-
وإنما هو صنيعها. إن هذه المجتمعات لا توفر للإرهاب
السياسي دوافعه الأساسية فحسب, وإنما لها علاقة مباشرة
بتفشيهِ وانتشاره" (زيادة, ١٩٨٦, ص ٥٢) بل تعمل على
توسيع نطاقه, الا إن الاختلاف في طبيعة هذه المجتمعات
اصبح للفرد دورٌ اكبر وقد يمارس الارهاب بإسم الافراد أو
الجماعات. وبذلك ينعكس الارهاب على سلوك الافراد وينقل
الانسانية الى مرحلة العداة والوحشية في حرب الكل ضد
الكل فالإرهاب الكلي, "يجعل الناس يسحق بعضهم بعضاً,
فانه يدمر المدى القائم بينهم" (أرنت, ١٩٩٣, ص ٢٥٤)

عن هويتها اليهودية فعلى الرغم من اضطهاد النازية لليهودية نجد اليهود يتبعون نفس الاقصاء وهنا يتم الفصل بين اليهود كشعب عن ما هم دولة متجاوزة ومغتصبة لحق دولة اخرى.

٧- الحرية وممارسة الفعل السياسي.

على الرغم مما يعانیه الفعل السياسي كما تقسمه آرنست الكدح والنشاط والعمل فهو الحل ضد كل اعمال العنف والارهاب، والذي يبدا من الحرية، فالحرية غاية اساسية لاستعادة وجود الفرد في ظل الدولة بل ايضا لاستعادة وجود الدولة الشرعية التي تحافظ على ابنائها، لذلك أوجدت آرنست علاقة جدلية بين الحرية والعزلة الذي يفرضه النظام التوتالييتاري، "إن حرية التعبير عن الآراء التي تمثل معيار تنظيم (البوليس) تتميز عن حرية الفعل الخاص لذلك الذي يفعل لوضع بداية جديدة ما، تعتمد الى حد ما أكثر على حضور الآخرين والتصادم مع آرائهم، إذ إن الفعل لا يمكن أن يحدث مطلقاً في العزلة، بما إن الذي يبدا شيئاً ما جديداً لا يمكن ان يصل الى النهاية إلا إذا حشد الآخرين الذين سيأتون لمساعدته" (آرنست، ٢٠١٤، ص٤٨).

أن دراسة آرنست للأنظمة الشمولية نابعة من الحاجة للتوصل الى تفاهم مع افطع الاحداث في القرن العشرين في جدل حرية الفعل التي غيبت تماماً بالعصر الحديث بظل هذه الانظمة والتي كانت متداولة في العصور القديمة كما جاء كتابها في الشرط الانساني الذي يسعى الى "تطوير نظرية في السياسة كانت مزدهرة جدا في العصر اليوناني الكلاسيكي، ولكنها ضاعت في العصر الحديث، إن العامل المحفز لبحثها هذه هو الادراك بأن السياسة كمجال للحرية- حرية الفعل (Freedom of Action)- بين الانداد لم يعد لها وجود" (ليشته، ٢٠٠٨، ص٣٧٢)، ليس هذا ما يجري مع الحرية بل ايضا مع الحكم الديمقراطي الذي يكون يبدر منه العنف والاقصاء في النظر الى الآخرين وهذا بنظر آرنست اشد خطراً من النظام الشمولي. كيف يمكن للنظام الذي يدعوا الى الحرية يقصي الآخرين.

كيف يمكن أن نفهم تقييد الحرية من خلال الاكثورية التي تشن حرباً على الاقليات إذ تعمل القوانين الى الحد من حرية الفعل السياسي، هذا ما يشكل عنفاً في التقارب مع السلطة الذي

أرندت للخروج من طور العزلة في ممارسة النشاط السياسي. ولكن كيف نفهم الارهاب اذا ما اعتبرناه ممارسة سياسية لاكتساب غايات مصلحية.

تستعمل آرنست مصطلح "Loneliness) للدلالة على التوحد أو التقفر، فهو يعني الوحشة التي يستشعرها الانسان الذي اقتلعه النظام التوتالييتاري وحرمه من الارض(مجال حركته وفعله)" (آرنست، ١٩٩٣، ص٢٧٠)، فالتوحد الاستبدادي تحدده التجربة المطلقة لعدم الانتماء للعالم، يقابل الانعزال الذي يقيمه الطغيان الذي لا يتعدى دائرة الحياة الخاصة، إن المشروع الشمولي، الذي يسعى الى استئصال كل عفوية، وكل قدرة على الفصل، هو مشروع السيطرة الشاملة على المجتمع. يمس التقفر، الحياة البشرية في مجموعها، لذا فان النظام التوتالييتاري شأن كل انظمة الاستبداد، لا يسعه أن يكون قائماً، بالتأكيد دون إن يدمر مجال الحياة العامة، أي دون إن يدمر طاقات الناس السياسية، عازلاً اياهم عن دائرة المجال السياسي (فرانسوا شاتليه، ٢٠١٤، ص٥٧).

قد تكوت الغاية من الارهاب ليس في اخضاع الافراد بل عزلهم وهذا كفيلاً بتحويلهم الى ارابيين، فالارهاب لا يمد الى فترة او عقيدة محددة، "أشارت حنة آرنست إلى أن الغرض النهائي من عملية الترهيب يتمثل في عزل الفرد من الدعائم الاجتماعية المعتادة، فإذا استطاع الارهاب تحقيق ذلك، فقد ينجح في خلق وضع تتحول فيه الجموع المنقسمة على نفسها الى الارهابيين انفسهم باعتبارهم مخلصين" (تاوونز، ٢٠١٤، ص٤٩).

فالعزلة ما يعمل على تطبيقها النظام الشمولي في تحويل الطبقات الى جماهير ومن صفة الاخير هو الانصياع دون وعي لكل ما تأتي به هذه الانظمة. إذ يعمل على تحويل الافراد الى ضحايا في قتل بعضهم بعضاً، اذاً هو "ليس مساوياً لنظام الحكم الفردي المطلق حيث يحاول الحاكم اجبار الجماعة أو المجتمع على الانصياع لصورته هو: في تلك الحالة يكون الحاكم المطلق هو الذي يجعل من كل فرد آخر عدواً حقيقياً فعلياً أو محتملاً، أما النظام الشمولي، فليس له اعداء، بل ضحايا: أناس أبرياء كلياً" (ليشته، ٢٠٠٨، ص٣٧١) وما تقصده بذلك هم اليهود، ونجد هنا آرنست تدافع

تحقيق كل شخص ذاته, وافضل وصف لهذا المفهوم والقول انها ديمقراطية تحقيق الذات (سكيريك, ٢٠١٢, ص٩٤٧) وبذلك عبرت فلسفتها عن واقع الحياة اليومية وفق ما عايشته من معاناة واضطهاد.

ثانياً: تطور العنف والارهاب من خلال العولمة.

أدت العولمة دورا كبيرا في انتشار الافكار والثقافات ومنها ايدلوجيا العنف والارهاب, فالأفكار والافعال تنتقل سريعاً بسبب وسائل التقنية وتقدم العلم التي سهلت عملية الانتقال, فأعمال العنف تطورت فلم تعد على مستوى الوسائل والاسلحة البسيطة, وإنما انتقلت الى ما يعرف وسائل العنف الناعمة, التي يدخل فيها الاعلام فضلاً عن قوة المال والسلاح, فالعولمة انتقلت بصورتها المبسطة من الحرب العالمية الاولى والثانية والحرب بين دولتين الى الحرب بين المحاور التي تشكلها هذه الدول, فأخذت الدراسة منحى آخر بعد حنة أرنت وعند فلاسفة مختلفين تناولوا الاحداث حسب تطورات العلم السريعة وهم مختلفون لكن يشتركون في قضية انتقال الارهاب من الافراد والجماعات الى تطوره في سياسات دول كبرى تهيمن من خلاله على العالم.

لقد مكن التقدم العلمي من إنتاج الاسلحة النووية, كيميائية وبيولوجية, وأتاح لها الانتشار الواسع. وتسبب التقدم التقني والصناعي في مسلسل من التدهور في المحيط الحيوي, وخلقت عولمة السوق الاقتصادية المفترة الى تقنيين خارجي والى تقنيين ذاتي حقيقي, جزر جديدة من الثراء, وخلقت مناطق متنامية من الفقر, وقد كانت هذه العولمة ولا تزال سبباً في خلق ازمان لا تفتأ تتناسل, وتسير في اتساع واستنشاء حتى باتت تتهدد بالفوضى والسديم. وقد صارت أشكال التطور الواقعة في العلوم والتقنيات والصناعة والاقتصاد, وهي المحرك اليوم للمركبة الفضائية للأرض, لا يحميها شيء من سياسة ولا اخلاق ولا فكر. (موران, ٢٠٠٩, ص١١), وهذا ما نلاحظه في هيمنة الدول العظمى في استعمال هذه التقنيات في فرض سيطرتها.

العلاقة بين العولمة والارهاب علاقة جدلية ما أن تنتقل حتى تنتقل معها القلق والخوف على الرغم من النتائج الايجابية التي يمكن أن تأتي بها, هذا اذا ما اخذنا رؤية بودريار بأن

يكون عنف السلطة, وهذه بادرة شديدة الانحدار في تحول المجتمعات من ظل الحكم التوتاليتاري الى الحكم الديمقراطي التوتاليتاري, أي ممارسة العنف والقوة بطرق ديمقراطية, قد نعلم ان النظام الديمقراطي كفيل بانتقال السلطة بصورة عفوية ومن دون الحاجة الى الانقلابات أو ثورات في الوصول الى السلطة لكن مع الديمقراطية الشمولية يكون الامر مختلف تماماً, في محاولة تدوير الحزب الحاكم الشخصيات السياسية مع ما يتلاءم مع البقاء في السلطة والحفاظ عليها دون انتقالها للخصماء السياسيين, وهذا ما يكون مع تصيير الدستور وجعله بصالح السلطة, "إن حكم الاكثريّة من دون أن يستند إلى أية حدود قانونية, أي الحكم الديمقراطي المفترق إلى دستور, يمكن أن يكون من نتائجه المرعبة حرمان كافة الأقليات من حقوقها, ويمكنه- حتى من دون اللجوء إلى العنف" (أرنت, ١٩٩٢, ص٣٦-٣٧) لكن هذا لا يعني ان الحكم الديمقراطي ما يمارسه من سلطة عنفاً, الا في حالة قمع المعارضين أو المحتجين ازاء سياسة معينة. وهذا ما تعمل عليه الحركات التوتاليتارية التي تقيد من الحريات الديمقراطية وتفرض بها, في سبيل أن تحسن القضاء عليها. غير أن الامر أبعد ما يكون محض مهارة شيطانية من جانب القادة أو حماقة صيبانية من قبل الجماهير (أرنت, ١٩٩٣, ص٣٨), ولأن اخذنا بالرأي القائل بأن الحريات الديمقراطية قامت على أساس من المساواة بين جميع المواطنين أمام القانون, إلا إنها لا تكتسب معناها ووظيفتها العضوية إلا بحال انتماء المواطنين الى جماعات تمثلهم (أرنت, ١٩٩٣, ص٣٨). فمنذ أن الفت أرنت مؤلفاتها في الشمولية والعنف والثورة رداً على سياسة الانظمة الشمولية, وما تمارسه من عنف ووحشية مع مواطنيها, لكن الى الآن وبطل الأنظمة الديمقراطية لا يوجد ممارسة سياسية حرة يستطيع صاحبها يعبر عن آرائه المختلفة, وهذا حال أغلب الدول النامية التي تعاني التخلف والفقر في تحول النظام الديمقراطي الى نظام شمولي وهذا ما يمكن إن نسميه الديمقراطية الشمولية.

يمكن القول ان أرنت دافعت عن ديمقراطية تشاركية نخبوية يكون الناشطون سياسياً نفر قليل, فنظريتها السياسية هي رومانسية نوعاً ما: فالسياسة هي الخلفية التواصلية التي استناداً اليها يطلب المواطنون الاحترام والاعتراف, وصارت

مساهم فيها، ويمكنه الانصهار فيها بسهولة، غير أن الذي يبقى هنا هو الصفة العنفية المميزة لهذا الانتماء من حيث صراع الهويات وتنازعا حول أي منها يمكن للانتماء أن يحقق أماناً أكثر، ولهذا يبرز العنف في طابعه الأمريكي المشرعن متميزاً (بودريار، موران، ٢٠٠٥ ص ٢٢-٢٣)، وإن كانت هنالك وجهات نظر مغايرة في السياسة الأمريكية اتجاه قبول الآخرين واحتوائهم وفق شروط معينة إلا أن سياستها قائمة على أساس الغطرسة وفرض القوة.

وهذا ينطبق على سياسة النازية التي عانت منها آرنست هبمنها في ألمانيا والشيوعية في روسيا تعاني منه اليوم الشعوب المستضعفة سيما دول العالم الثالث التي تعرضت إلى الغزو الأمريكي وهي أفغانستان والعراق إذ تعرضت لشتى أنواع العنف والتدمير في قتل ابنائها، فعملت أمريكا على إعادة انتاج العنف بوسائل وهويات مختلفة، موظفة بذلك الثروات العلمية والبشرية من أجل استنزاف الاموال، وهذا ما تعامل به الرئيس الأمريكي ترامب في فرض سيطرته على الدول العربية والعالم، فيبقى بذلك الارهاب ضمن النشاطات السياسية التي تمارس في فرض الهيمنة الأمريكية كما سنلاحظه في فلسفة العنف والارهاب عند جان بودريار.

فلسفة جان بودريار* في العنف والإرهاب (من العنف الافتراضي إلى العنف الواقعي)

تطرح فلسفة جان بودريار كثيراً من التساؤلات تبدأ من صنع أو خلق صورة افتراضية للعنف تحل محل الواقع، كما عبر عن ذلك في موت الواقع وهذا عنوان كتابه (الفكر الجذري- أطروحة موت الواقع)، لكن في هذه اللحظة كيف يجري الانتقال من الشمولية إلى النظام العالمي، وهذا مكن الاختلاف بين حنة آرنست التي تفوقت في تفكيك النظام

- جان بودريار مفكر فرنسي وسيبولوجي ولد عام ١٩٢٩-٢٠٠٧م) مفكر وفيلسوف ومحلل سياسي وعالم اجتماع تصنف أعماله ضمن ما بعد الحداثة وما بعد البنيوية أهم أعماله الاصطناع والمصطنع، روح الارهاب، التبادل المستحيل، نظام الاشياء، ذهنية الارهاب في الاشتراك مع آخرين و عنف العالم في الاشتراك مع الفيلسوف الفرنسي ادغار موران.

الارهاب صنعة العولمة، فالعولمة توفر استقلالية جديدة، سواء أكانت بالنسبة إلى السكان المحليين أم الأفراد، لأنها تطرح اساليب جدية للقرار، ومزيداً من الخيارات، وهويات دولية عدة، يمكن الاختيار بينها، ولكنها تسلب الاحساس بالأمان وترفع وتيرة الاحساس بالخطر في الوقت نفسه (وورين كيد، ٢٠١٢، ص ٢٨٦)، يمكن سحب ذلك الخطر من السكان المحليين إلى اناس آخرين، وهذا ما تعمل عليها الشركات العملاقة التي تصل انتاجاتها إلى أغلب دول العالم، على أن ذلك الانتقال يستصحب معه الارهاب أو يستفيد من هذه الانتاجات في تنفيذ اعماله.

تحول الارهاب إلى العالمية في ظل العولمة، فيما يتعلق في تغيير الاستراتيجيات التي يتبعها، والتي من شأنها إن تغير طبيعته، فمن سمات الارهاب أنه افتقد إلى راس الهرم من خلال تكون جماعات مستقلة في تنفيذ العمليات الارهابية التي عادة ما تكون مستقلة. وليس من الضرورة عن تعلن عن عملياتها، وقد يكون مبدا المساومة حاضراً من خلال المطالبة في اطلاق سراح بعض المطلوبين، وهذا ما يرتبط بأيدولوجيات معينة نسبت بعضها إلى الدين لاسيما الدين الاسلامي، وهذا واضح من تسميات تلك المجاميع التي نشأت رداً على السياسة الأمريكية (وورين كيد، ٢٠١٢، ص ٢٩٦). في محاولتها للسيطرة على العالم إذ يذهب جيندز إلى اعطاء معنى الامركة من انتشار الهيمنة الأمريكية لمعنى العولمة ف" العولمة لا تتطور بصورة متوازنة أو بشكل محايد، وان تبعاتها غير محمودة فهي تبدو بالنسبة إلى دول كثيرة خارج أوروبا وأمريكا الشمالية (تغريباً) أو ربما (امركة) وهو احساس غير مريح" (وورين كيد، ٢٠١٢ ص ٢٨٦).

وأن كانت الامركة لا تعمم على سياسة أمريكا الخارجية بل تطبق فقط على المهاجرين إليها لتشملهم الثقافة الأمريكية، ف"التامرك" أو " الأمركة"، كان بادئ الامر مخصصاً لاستعمال داخلي، للإعراب عن تمازج موجات المهاجرين من كل الاصقاع وأنصارهم في مصهر الثقافة الأمريكية. (ماتلار، ٢٠٠٨، ص ٣٩) وهذا ما جعل سهولة كل انسان أن يكون امريكياً، "فأمريكا مفتوحة لأي كان... حيث الأمريكي لا يخرط في حيز قومية معينة، بقدر ما يشعر أنه مشارك أو

لا يستبعد بودريار فلسفته في العنف الارهاب عن مجمل فلسفته الواقعية المفترضة على الواقع من اجل تنفيذ واحلال محله الصورة المتخيلة أو الافتراضية، وهذا ما يمكن ملاحظته في التخطيط للحرب، ويثبت ذلك من خلال كتاباته عن (حرب الخليج لم تحدث) على الرغم من حدوثها فيما بعد، فالتمهيد للحرب قد يكون أكثر خوفاً من الحرب، فما تبثه الماكينة الاعلامية من صور قد تفوق الواقع - مينا واقع، ويمكن معرفة ذلك أكثر من خلال ما يضره مثلاً عن السرطان في كتابه المصنع والاصطناع. "أصابه السرطان فتكاثرت الخلايا السرطانية(المصنعة) وألغت جسده الواقعي، كالمصنع سرطان الواقع بتكاثره يلغي الواقع ويحوله الى فوق واقع" (بودريار، ٢٠٠٨، ص ٨)، كذلك الحرب والعنف ما يرسم له يلغي الواقع وبصبح هو الواقع بدلا عن الواقع الحقيقي.

فالعنف يعمل على هدم الواقع وتغيير الانظمة، أن خطة النموذج الارهابي قائمة على أثاره عنف الواقع، وهدم النظام في خضم هذا العنف المتصل بالواقع، وأن كل هذه السخرية من الواقع كذلك العنف المجيش للسلطة يستهدفان هذا النظام، لأن الاعمال الارهابية هي المرأة المفرطة الانعكاس لعنف هذا النظام الخاص ونموذج عنف رمزي على حد سواء محظور بالنسبة اليه، العنف الوحيد الذي يمارسه، عنف موته الخاص، لهذا فان كل القوة المرئية لا يمكنها فعل أي شيء في وجه الموت المتناهي في الصغر إنما الرمزي لبعض الأفراد. (بودريار، ٢٠٠٥، ص ٦٣). وهذا ما يمكن التمييز فيه بين العنف المادي والعنف الرمزي، "إن العنف الذي نشهده اليوم هو ردة الفعل، وعنف الرمزي الخصوصي مقابل العنف الرمزي والمادي والعولمي، هو ضد العنف العالمي الذي هو: عنف يلاحق كل اشكال السلبية والخصوصية"(مجموعة مؤلفين، ٢٠١٣، ص ١٣١٢)، فاشكال التفرد ليست عنيفة بالضرورة، فمنها ما هو لطيف كالتفرد في مجال اللغات والفن والجسد أو في مجال الثقافة، ولكن منها ما هو عنيف- مثل الارهاب(بودريار، ٢٠٠٣، ص ١٢٧)، الا أن ما يحدث من تشطي النظام العالمي في تحطيم طوق الشمولية، الذي يعد الارهاب أهم هذه المميزات في هذا التشطي مع مميزات اخرى تخص الانتقال من خصوصية الثقافة واللغة الى الغاء

الشمولي، وبين بودريار الذي انتقل الى ما هو عالمي في اقتران العنف العالمي مع العولمة، فتزامن العنف في العالم مع العولمة لم يكن محض صدفة فهي وسيلة هذه العنف وطريقه نحو العالم، "فالارهاب هو صنعة العولمة أو النظام العالمي الذي أخذ يحمل رسالة الإقصاء والاختفاء للمخالفين" (مجموعة مؤلفين، ٢٠١٣، ص ١٣١٢). وبذلك ينقد بودريار النظرة الغربية الاحادية التي تلغي الاخر ويقصد هنا ما تعمله الهيمنة من النظر الى الاسلام والشرق، وهذا الشمولية الاحادية في النظر الذي جاء به النظام السياسي في التعامل مع افراده (بودريار، ٢٠١٠، ص ٧٤) التي يقترب بودريار في هذ الرؤية كثيراً مع ارنت لكن حسب الجهة المصدرة والمصنعة للعنف سواء كان النظام الشمولي أو العالمي ومن خلفه الهيمنة العالمية.

لا يرجع بودريار الارهاب الى دين أو قومية أو دولة محددة، " أن نقاش الارهاب لا يكون بربطه بدين أو قوم أو أثنية أو ما شابه" (بودريار، ٢٠٠٨، ص ٢١). وانما يرد هذه الحالة الى منطق الهيمنة العالمي. أذن لا يتعلق الامر فيما يخص الارهاب، "بصدام الحضارات أو الديانات، فالأمر يتجاوز بكثير الاسلام وامريكا الذي يتم اختزال الصراع فيهما لإعطاء الوهم بحدوث صراع يخدم ويرر العولمة المنتصرة أكثر ما يعمل على تفويضها. بهذا المعنى نستطيع الحديث عن حرب عالمية، ليست الثالثة ولكن الرابعة وهي الحرب الوحيدة الحقيقية بسبب أنها تتخذ من العولمة ساحة وهراناً لها". (بودريار، ٢٠٠٦، ص ٦٢)، على خلاف الحرب العالمية الاولى التي وضعت أوروبا وللعهد الاستعماري، والثانية حاداً للنازية، أما الثالثة- الحرب الباردة- حاداً للشيوعية. وتوالي هذه الحروب، كنا نتجه تدريجياً نحو بناء نظام عالمي جديد، لاسيما ما تشكله القوة المهيمنة ويقصد بها ما خاضته الولايات المتحدة الامريكية من خوض حرب الخليج عوضاً عن حرب عالمية ثالثة في الانتقال من تفكيك نظام صدام حسين الشمولي في العراق من قبل عولمة الحرب (بودريار، ٢٠٠٦، ص ٤٤). فما خاضته من تهويل الحرب اعلامياً عبر قنواتها أكثر من الحرب ذاتها، وهذا ما يقصد به تأثير الصورة الافتراضية في رسم صورة العنف الواقعية.

تجسيدا لها، وفي الوقت الذي يؤلف فيه الهدم العنيف لهذا الشكل الاقصى من العالمية والهيمنة (بودريار، ٢٠٠٣، ص١٢٦).

قد تكون هناك اشكالا اخرى للإرهاب مثل الارهاب المعلوماتي والارهاب البيولوجي وارهاب الجمرة الخبيثة، والاشاعة. يضاف اليها ارهاب الاعلام غير المقصود (بودريار، ٢٠١٠، ص٣١)، وقد يكون الارهاب الجرثومي اشد ارهاباً من كل انواع الارهاب مثل ما يشهده العالم اليوم من استنفار صحي وامني وعلان حالة الطوارئ في الكثير من الدول ضد فايروس كورونا الذي الغى بدوره حرب المحاور، ليتحد العالم في الوصول الى علاج بإمكانه إن يخلص البشرية من هذا الوباء وإن كان الصراع كبيراً بين الشركات الدوائية في الحصول مبكراً على الدواء، هذا ما تطرق اليه بودريار في الارهاب الجرثومي فالعنف ذو طبيعة فيروسية، وفعله يكون بالعدوى، بالتفاعل المتسلسل، فيدمر شيئاً فشيئاً، كل مناعتنا كما يدمر قدرتنا على المقاومة" (بودريار، ٢٠٠٣، ص١٢٦) وهذا ما يواجهه العالم اليوم رغم الاحترازات الكبيرة الا ان تفشيه لم يعد من السهولة السيطرة عليه حاله حال انواع الارهاب الاخرى.

النتائج:-

العديد من النتائج التي يمكن ملاحظتها في خاتمة هذه الدراسة وهي كالآتي:-

أن فرض سلطة الدولة يشكل قوة بحد ذاته فلا يمكن أن نطلق معنى العنف أو تطبيقه على كل ممارسات السلطة التي تدخل فيها كل نشاطات الدولة من فرض القانون ومعاقبة المجرمين، فالعنف تحديداً يصاحب استخدام القوة بصورة عدوانية الغاية منها اىء الاخرين دون منفعتهم.

في العنف دلالة على انتهاء الممارسة السياسية وتبدد الحرية فعندما تنتهي السياسة كحلاً للمشاكل السياسية بوقتها تبدأ أعمال العنف والرد عليه يكون من الإرهاب، فالدولة تستخدم العنف في قمع الافراد، والافراد والجماعات يستخدمون الارهاب ضد الدولة وضد الناس العزل لأثبات وجودهم أو الوصول للسلطة لذلك ركزت آرننت على الحرية من خلال

هذه الخواص، هذا التميز الذي يدفع العنف الى نهايته واشد فتكاً من أي تميزاً اخر، "عنف ينهي على نحو ما، العنف نفسه، ويسعى دائماً لأن ينشئ عالماً منعقداً من كل نسق طبيعي، سواء كان نسق الجسد أو الجنس أو الولادة أو الموت" (بودريار، ٢٠٠٣، ص١٢٦)، وهذا خروجاً عن النسق الخاص أو الطبيعي.

إن الارهاب ليس هو العنف، أنه ليس عنفاً واقعاً، محدداً تاريخياً، العنف الذي له سبب وغاية، إنه ظاهرة متطرفة، أي أنه موجود في ما وراء غايته، بطريقة ما: إنه اكثر تطرفاً من العنف أيأ كان هذا العنف التقليدي، أن ما يهدد النظام العالمي هو العنف الرمزي، العنف الذي لا يحمل أي خيار أيولوجي، والحال أن الارهاب لا يحمل في داخله أي خيار أيولوجي أو سياسي (بودريار، ٢٠٠٥، ص٦٣)، وهذا ما يعكسه بودريار في تحليل احداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١. في تفجير ابراج المركز العالمي للتجارة مما شكل تهديداً وخرق النظام العالمي الذي تسعى امريكا الى حفظه.

إن انهيار برجى مركز التجارة العالمي كان من المستحيل تصوره ولا يدخل ضمن صورة العنف الافتراضية بالنسبة لنظام ودولة مثل الولايات المتحدة الامريكية، لكن ذلك لا يكفي ليجعل منه حدثاً حقيقياً، إن الزيادة في العنف لا تكفي للفتح على الواقع، لان الواقع مبدأ، وهذا المبدأ هو الذي ضاع الوقت والخيال وسحر التفجير هو أولاً سحر الصورة (بودريار، ٢٠١٠، ص٢٨). فالمتخيل أو المرسوم من تخطيط لحوادث الارهاب اكثر تعقيداً وعنفاً من الارهاب ذاته، مع ذلك يبقى تلاشي المرجعيات واليقين عاملاً مهماً في مثل هذه الاحداث وهذا ما يمكن بحثه في اليقين واللايقين في فلسفة بودريار مع بقاء السؤال. هل الارهاب خيالي وغير واقعي.

لكن واقعا الفرضي، ونظامنا في الاعلام وفي الاتصال هي الاخرى منذ زمن طويل، فيما وراء مبدأ الواقع. اما بالنسبة للرب، فنعلم أنه هنا اصلاً في كل مكان، في العنف المؤسسي والذهني والجسدي، بجرعات ضئيلة جداً ولا يفعل الارهاب اكثر من تدوير كل المركبات في محلول انه يستكمل افراط القوة والحرية والمد والحساب التي كان برجان

جان بودريار. (٢٠٠٦). الفكر الجذري (أطروحة موت الواقع) (المجلد الاولي). (منير الحجوجي وأحمد القصور، المترجمون) الدار البيضاء، المغرب: دار توبقال.

جان بودريار. (٢٠٠٨). المصنع والاصطناع (المجلد الاولي). (د. جوزيف عبدالله. مراجعة د. سعود المولى، المترجمون) بيروت، لبنان: - مركز دراسات الوحدة العربية.

جان بودريار. (٢٠١٠). روح الإرهاب. (بدر الدين عمرو زكي، المترجمون) القاهرة، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

جان بودريار واخرون. (٢٠٠٣). ذهنية الارهاب (لماذا يقتلون بموتهم) (المجلد الاولي). (بسام حجار، المترجمون) بيروت، لبنان - المغرب: المركز الثقافي العربي- الدار البيضاء.

جان بودريارد- إدغار موران. (٢٠٠٥). عنف العالم (المجلد الاولي). (عزيز توما- تقديم: ابراهيم محمود، المترجمون) الاذقية، سوريا: دار الحوار للنشر والتوزيع

جون ليشته. (٢٠٠٨). خمسون مفكراً أساسياً معاصراً (المجلد الاولي). (مراجعة: محمد بدوي. فاتن البستاني، المترجمون) بيروت، لبنان: مركز الدراسات الوحدة العربية، المنظمة العربية للترجمة.

حنة أرنت. (١٩٩٢) (المجلد الاولي). (ابراهيم العريس، المترجمون) , دار الساقى, ط١, ١٩٩٢ , بيروت، لبنان: دار الساقى.

حنة أرنت. (٢٠١٤). مالسياسة (المجلد الاولي). (زهير الخويلدي- سلمى بالحاج مبروك، المترجمون) لبنان: منشورات ضفاف- منشورات الاختلاف.

حنة: ارنت. (١٩٩٣). أسس التوتاليتارية (المجلد الاولي). (أنطوان أبو زيد، المترجمون) بيروت، لبنان: دار الساقى.

سيلفان ألومان. (٢٠٠٨). مجموعة مؤلفين. فلسفات عصرنا- تياراتها، مذاهبها، أعلامها، وقضاياها(التفكير في الشمولية/ في فلسفة الشمولية) (المجلد الاولي). (جان

الفعل السياسي وهذا ما تسميه الكدح تمييزاً عن النشاط أو الفعل السياسي.

ما يمكن استنتاجه من البحث في ان العنف يقترب منذ القدم بالحرب الا ان الإرهاب يقترب مع النشاط السياسي وتبرير العنف للوصول للسلطة أو كسب امتيازات سياسية معينة لم ينحصر العنف داخل سياسة الدولة في تعاملها مع الافراد بل تطور بسبب تقدم العلم لينتقل خارج حدود الدولة الواحدة وهذا ما يمكن ملاحظته من خلال الحروب العالمية في القرن العشرين في اتفاق دول ضد اخرى.

العنف مع بودريار تحول نحو العالمية بما يمارسه النظام العالمي، ويقصد بذلك الولايات المتحدة الامريكية التي تشن حرباً على مستوى الواقع الافتراضي المزيف ليحل محل الواقع الحقيقي فتكون الصورة اشد تأثيراً من الحرب ذاتها.

المصادر:

إدغار موران. (٢٠٠٩). الى اين يسير العالم (المجلد الطبعة الاولي). (احمد العلمي، المترجمون) بيروت، لبنان: دار العربية للعلوم ناشرون.

أوليفيه دوهاميل، إيفيلين بيزيه فرانسوا شاتليه. (٢٠١٤). معجم المؤلفات السياسية (المجلد الثالثة). (محمد عرب صاصيلا، المترجمون) الشبكة العربية للابحاث والنشر، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

المحمداوي، علي عبود مجموعة مؤلفين. (٢٠١٣). الفلسفة الغربية المعاصرة (صناعة العقل الغربي من مركزية الحدائة الى التشفير المزدوج) (المجلد الاولي). بيروت، لبنان: منشورات ضفاف و الاختلاف.

تشارلز: تاونزند. (٢٠١٤). الإرهاب (مقدمة قصيرة جداً) , ترجمة: , مراجعة: هبة نجيب مغربي, القاهرة, مصر, الطبعة الاولي, عام ٢٠١٤, ص٩. (المجلد الاولي). (مراجعة: هبة نجيب مغربي محمد سعد طنطاوي، المترجمون) القاهرة، مصر: مؤسسة هندواي للتعليم والثقافة.

غنار- غيشلجي, نلز سكيريك. (٢٠١٢). تاريخ الفكر الغربي (المجلد الاولي). (حيدر الحاج اسماعيل. مراجعة: نجوى نصر، المترجمون) بيروت، لبنان: المنظمة العربية للترجمة, مركز الدراسات الوحدة العربية.
معن زيادة. (١٩٨٦). : الموسوعة الفلسفية العربية, المجلد الاول (المجلد الاولي). معهد الانماء العربي.

فرانسوا دورتيي، المحرر، و ابراهيم صحراوي، المترجمون) بيروت- الجزائر: دار العربية للعلوم ناشرون- منشورات الاختلاف- مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم.
صليبا جميل. (١٩٨٢). المعجم الفلسفي/ الجزء الثاني (المجلد الاولي). لبنان: دار الكتاب اللبناني.